

الصلة بين العلم والدين

وتأثيرهما في الفرد والمجتمع عند النورسي¹

الدكتور صالح نعمان

جامعة الأمير عبد القادر

المقدمة

يقول الحق تبارك وتعالى: «سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»²، ورؤية هذه الآيات في الآفاق والأنفس للتحقق من حقائق الدين الإسلامي الحق على أنه الحق الذي يستلزم الاعتراف به والالتزام بتعاليمه المحققة للسعادة البشرية (وئاما وسلاما)، هذه الرؤية، تتم بالدليل البرهاني، ولا يمكن إدراك هذا الدليل وتحصيله إلا بالنظر والبحث في آياته سبحانه وتعالى، وهذا الأخير لا يتحقق إلا بنور المعرفة المنبثة في خلقه جل جلاله، قال جل جلاله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا»³؛ وقد ألحق المولى عز وجل حقائق الدين الإسلامي بعدد لا يحصى من النتائج العلمية التي يسهل التثبت من صحتها في ضوء المعارف والنظريات والحقائق العلمية الحديثة وبالتالي إعطاء البرهان الكافي على صحة الدين الإسلامي.

1 - بديع الزمان سعيد ميرزا النورسي ولد 1877 وتوفي 1960م

2 - فصلت: 53.

3 - سورة النساء: 174.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

فكان الله تعالى هو مصدر هذه المعرفة الإنسانية المعبرة عن المعرفة المطلقة المعرفة الإلهية بنور الله الذي أودعه في الإنسان والكون. إذ يقول تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ»¹، وقال: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم»². والنص الإلهي المباشر (النص الديني) يتواءم مع الاختلاف الواسع بين الثقافات المختلفة للأفراد والمجتمعات المتلقية له.

هذه طبيعة البرهان الإلهي في صياغته البشرية متنامية ومتعدد ومرتقي إلى الحق لتحقيق الشهود فيطمئن القلب وتقر العين ويرتقي الإيمان.

و علة ذلك عند النورسي أن: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية»³. وهو ما تجاوز القول والفكرة إلى العمل الفعلي في واقع حياته وجهاده في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي منهجا وموضوعا.

وعليه يتحقق القاسم المشترك بين الناس على اختلاف مللهم ولغاتهم، الموصل إلى التعارف والتعاون البشري من حياة وئام وسعادة في هذا الكون وهذه الحياة الدنيا. مصداقا لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»⁴.

1 — الشعراء: 132.

2 — العلق: 05.

3 — النورسي: صيقل الإسلام، ص 428.

4 — المحرات: 13.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان
ومعنى هذا أن النظر في خلق الله تعالى واكتشاف أسرار الكون ومعرفة منافع
الموجودات ليس لذاته، في عقيدتنا الإسلامية، ولكن لمعرفة الحق تبارك وتعالى وصدق
هذا الدين القيم الذي ارتضاه لعباده، منهج حياة يتجاوز به المشاكل التي يعاني فيها.
فإذا عرفنا طبيعة البرهان وغايته وحقيقة (الآفاق والأنفس)، كيف نحقق هذا البرهان
ونلتمس تلك الغاية؟

إن ذلك لا يكون إلا بنور الله تعالى الذي نور به الكون والنفوس، ف: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ
يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ
عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»¹، وهذا
ما سعى إلى تحقيقه وتجسيده في الواقع العلامة بديع الزمان سعيد النورسي في رسائل النور فكانت
نورا على نور، لوجود بعض الخصائص فيها، منها:

- 1- إنها تهدف إلى توجيه الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وتقريبه منه.
- 2- إنها تتناول الإنسان بجميع جوانبه المادية والمعنوية، وتذكر المقاييس التي تؤدي إلى
سعادة الدنيا والآخرة.
- 3- بدلاً من تلقين اليأس والقنوط فهي تنفث على الدوام الشوق إلى العمل.
- 4- لفت الأنظار إلى أن جميع الموجودات التي تحيط بالإنسان وكل موجودات الكون
مخلوقة لغاية ولهدف، وكذلك إلى الحكم البديعة للخلق والمصاغة بموازين حساسة
ومقاييس دقيقة وذلك لكي يتمزق ستار الألفة من إمام الأنظار.

1 - النور: 35.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

5- تقريب حتى أشمل الحقائق الإسلامية إلى العقول وذلك عن طريق ضرب الأمثال وجعلها سهلة لا ترهق الأذهان.

6- عند تبليغ الحق والحقيقة لا يقوم المؤلف بتوجيه الخطاب إلى الغير بل يوجهه إلى نفسه، أي وجود أسلوب يتسم بالصدق وبالزاهة.

7- كون هذه المؤلفات مرآة صادقة لحقائق القرآن.

إذ يقول مثلاً مبينا التعاون والانسجام بين الكائنات الدال على الحكمة من خلقها ومنهج التعلم منها تلك القيم: "موجودات الكون بأنواعها المختلفة تتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً ويسعى كل جزء منها لتكملة مهمة الآخر وكأنها تمثل مجموعها وأجزائها تروس معمل بديع ودواليه الذي يشاهد فيه هذا التعاون بوضوح. فهذا التساند وهذا التعاون بين الأجزاء وهذه الاستجابة في إسعاف كل منها لطلب الآخر، وإمداد كل جزء للجزء الآخر، بل هذا التعانق والاندماج بين الأجزاء، يجعل من أجزاء الكون كله وحدة متحدة تتعاضى على الانقسام والإنفكاك، يشبه في هذا وحدة أجزاء جسم الإنسان الذي لا يمكن فك بعضها عن البعض الآخر"¹ فهذا التعاون والتساند والتجاوب والترافق والتعانق الواضح على وجه الكون إنما هي أختام كبرى وبصمات ساطعة للتوحيد، بالأخذ بها تتجسد في المجتمع البشري.

وهذه الغاية يوضحها لنا العارف بالله ابن عطاء الله السكندري في حكمته الرابعة عشرة حيث يقول: «الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شمس المعارف بسحب الآثار».

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

أ — نظرية المعرفة: يعتبر النورسي في هذه القضية امتداداً لأستاذه أبي حامد الغزالي، إلا أنه لم يتوقف عند حدود كلام الغزالي — الذي أشرت إليه سابقاً —، فلقد طور بعض الأفكار، ودل على بعض الحقائق، وأسند كلام الغزالي إلى دعائم قوية، أتاحت له من حيث اطلاعه على العلوم الكونية، واستفادته من الدراسات القرآنية السابقة عليه. ويتجلى اتجاهه التأصيلي في الاستعانة بالعلوم الكونية، (في الآفاق والأنفس) في علم العقيدة، في دعوته الملحة إلى الجمع بين العلوم الكونية الحديثة والعلوم الشرعية، لأن: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية»¹. وهو ما تجاوز القول والفكرة إلى العمل الفعلي في واقع حياته وجهاده في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي منهاجاً وموضوعاً.

فقد طالب من السلطان عبد الحميد بفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية الحديثة، بجانب العلوم الإسلامية، وسعى إلى تأسيس مدرسة الزهراء التي تقوم على مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية².

وهي محاولة لربط العلوم بمصدرها وهو الوحي، إذ أن جميعها تدل في انتظام واتفاق على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، وعلى دليل عنايته سبحانه بالخلق، وانتظام هذا الخلق واتساقه على درجة الكمال والشمول. ومن هنا أمكن الاستعانة بهذه العلوم والاستفادة بها في بناء الأدلة على وجود الباري سبحانه ووحدانيته وسائر أركان الإيمان ومساائله فلا تعارض بين العلم والدين عنده بل يرى أن علم الكلام في حاجة إلى مقدمات علمية

1 — النورسي: صيقل الإسلام، ص 428.

2 — انظر، محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، ص 13.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان
للوصول إلى تلك الغاية المنشودة والمقصد أساسي وهذه المقدمات لا تتماشى ولا تتحقق
إلا من خلال النظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى.

ب — منهجه في الاستدلال على العقيدة الإسلامية بثمرات العلوم
سعى النورسي من استعماله لهذا المنهج إلى تحقيق غاية عظمى وهي لإثبات الحقيقة
الكبرى (معرفة الله سبحانه وتعالى) من أجل تحقيق العبودية الكاملة له جل جلاله.
وكان الدافع إلى ذلك منطلقه في التسلح بسلاح العلوم الكونية الحديثة في علم
العقيدة، أربعة دوافع ومنطلقات:

أولها: تحديات المدنية الغربية ضد الإسلام وعبثها بالعلوم.

ثانيها: تطور العلوم الكونية الحديثة وإنجازاتها الرائعة.

ثالثها: دعوة القرآن الكريم إلى معرفة الله تعالى بالمعرفة الكونية ومعرفة الكون بهداية
الوحي وذلك على أول ما نزل من القرآن الكريم بقوله تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ»¹.

— ورابعها أن الفطرة أو الوجدان مستند الأدلة العلمية إذ الوجدان لا ينسي الخالق
مهما عطل العقل نفسه وأهمل عمله. فالوجدان يبصر الخالق ويراه ويتأمل فيه ويتوجه إليه
فكل مولود يولد على الفطرة وبن التوحيد: «بَلْ أَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ
فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ»². ومن الكون يستمد الأنوار الإلهية

1 — العلق: 1.

2 — الروم: 29.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

وتحليلات الكمالات الربانية بنور معرفة الخالق الكريم لينشرها ويثبثها في وجدان كل إنسان متيقظ متفتح دائما مهما غفل العقل¹.

وتتجلى معالم منهجه هذا من تقريره لجواب على سؤال طرحه بعض تلاميذه فقد سأله أن يعرفهم بخالقهم لأن مدرسيهم لا يذكرون الله لهم، فكان جوابه "إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوماً، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين. فمثلاً لو كانت هناك صيدلية ضخمة في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية وضعت فيها بموازين حساسة وبمقايير دقيقة كما إنها ترين أن وراءها صيدلياً حكيماً وكميائياً ماهراً، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمئة ألف نوع من الأحياء - نباتات وحيوانات - وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة رجاجة مستحضرات كيميائية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة فهذه الصيدلية الكبرى ترى حتى للبعوض صيدلياً الحكيم ذا الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها وعظمتها، قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق، على وفق مقاييس علم الطب الذي تقرؤونه.

ومثلاً هب أن ملايين المصاييح الكهربائية تتجول في مدينة عجيبة دون نفاذ للوقود لا انطفاء؛ ألا ترى بإعجاب وتقدير أن هناك مهندساً حاذقاً، وكهربائياً بارعاً لمصنع الكهرباء، ولتلك المصاييح؟ فمصاييح النجوم المتدلية من سقف قصر الأرض وهي أكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات - حسب علم الفلك - وتسير أسرع من انطلاق القذيفة من دون أن تخل بنظامها أو تتصادم مع بعضها مطلقاً ومن دون انطفاء، ولا نفاذ وقود على وفق ما تقرؤونه في علم الفلك.

1 - النورسي: المثنوي العربي النوري، 430 - 431.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان
هذه المصاييح تشير بأصابع من نور إلى قدرة خالقها غير المحدودة... (واللاهائية)
فهذا الكون العظيم وما فيه من مصاييح مضيئة، وقناديل متدلية يبين بوضوح - سلطان
هذا المعرض العظيم والمهرجان الكبير، ويعرف منوره ومدبره البديع وصانعه الجليل،
بشهادة هذه النجوم المتألثة، ويحبه إلى الجميع بالتحميد والتسبيح والتقديس بل يسوقهم
إلى عبادته سبحانه»¹، فهدف العلوم الكونية النهائي هو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى،
بتحقيق الأبعاد المعرفية والعملية للعقيدة الإسلامية من حيث تصورها الصادق للكون
والحياة والإنسان.

وعليه فمنهج العلم في الاستدلال على العقيدة يقوم على ركيزتين أساسيتين:
الأولى الجمع بين العلوم الكونية والعلوم الدينية، والثانية الاعتصام بالمنهج القرآني،
فكانت العلوم الكونية بتوجيه وترشيد من القرآن الكريم خادمة لعلم الكلام بإمداده بمادة
أدلت الكونية على العقائد تثبتا للإيمان ودفعاً للشبه.

وهذا يعني أن عملية الاستدلال والدعوة الإسلامية تقوم على تأصيل العلوم وتوجيهها
إسلامياً في قالب علم عقيدة جديد يتناسب والعقلية المعاصرة الجديدة.

ج- الأدلة (أو تطبيق المنهج)

ومن أهم الأدلة التي استخدمها النورسي في منهجه العلمي هذا دليل العناية والغاية
ودليل الاختراع والنظام، على وجود الله تعالى ووحدانيته، وله أدلة على كمال صفات
الباري تعالى ومجلى أسمائه الحسنى، كما استدل على اليوم الآخر والنبوة.

1 - النورسي: الشعاعات، ص 257.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

فدليل العناية والغاية مثلاً يقول فيه: «فجميع الآيات الكريمة التي تعد منافع الأشياء وتذكر حكمها، إنما هي نساجة لهذا الدليل، ومظاهر لتجلي هذا البرهان، وزبدة هذا الدليل هي:

إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفياً قاطعاً وهم المصادقة والاتفاق.

... إذ كما أن القرآن يأمرنا بالتفكير في المخلوقات، فإنه يقرر في الأذهان هذا الدليل - دليل العناية - بتعدداده الفوائد والنعم، ومن بعد ذلك الإحالة إلى العقل في خواتيم الآيات وفواصلها، فينبه العقل ويحرك الوجدان في أمثال هذه الآيات «أولا يعقلون»، «أفلا تتذكرون»، «فاعتبروا»¹، أو إحالة العقل إلى إدراك عظمة الحق سبحانه وتعالى. فمثلاً يقول النورسي - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»²: لا يريد القرآن أن يبين استخراج الحديد تدريجياً من المخزن الصغير - الأرض - بل يريد أن يبين أن تلك النعمة العظمى قد أنزلت من الخزانة الكبرى للكون مع كرة الأرض، وذلك لإظهار أن الحديد أكثر ضرورة لخزانة الأرض، بحيث أن الخالق الجليل عندما فصل الأرض من الشمس أنزل معها الحديد ليحقق أكثر حاجات البشر ويضمنها³، وهو عينه ما عبر عنه أبو الوليد ابن رشد في تعريفه لدليل العناية بقوله: «إن جميع الموجودات التي

1 - النورسي: المثني العربي التوري، ص 429.

2 - سورة الحديد 25.

3 - النورسي: اللغات، ص 423 - 424.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان
هنا موافقة لوجود الإنسان¹، وإننا كلما تعمقنا في معرفة منافع الموجودات ازدادنا معرفة
بالله تعالى².

- وأما دليل الاختراع والنظام فكما يستدل به على وجود الله تعالى يستدل به على وحدانيته تعالى كذلك، بالإشارة إلى نظام الوحدة الذي تنتظم به موجودات الكون، فكل أنواع الموجودات على اختلافها يحكمها نظام قائم على التعاون والتساند والتجاوب والتعاقب، تكامل كلي بين مهام كل جزء منها، بحيث تمثل مجموعها وأجزائها وحدة واحدة كوحدة أجزاء جسم الإنسان التي يصعب انقسامها وتفككها «إن هذه السمات الواضحة على وجه الكون إنما هي أحكام كبرى، وبصمات ساطعة للتوحيد»³.

- وأما أسماء الله الحسنى فيستدل عليها من خلال كمال العلوم نفسها، ذلك أن كل علم من العلوم يستند إلى اسم من أسماء الله الحسنى، وفي هذا الاستناد يجد كل منها كماله، ويصبح حقيقة فعلا، وإلا فهو ظل باهت ناقص مبتور ومشوش⁴. ودليله على ذلك قوله سبحانه وتعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)⁵، وهذه الأسماء هي أسماء الأشياء مخلوقات الله تعالى، وحقيقتها تستند إلى الأسماء الإلهية الحسنى، والإتيان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء، بل يمكن مشاهدة آثار تجلى عشرين اسم من الأسماء على ظاهر كل ذي

1 - أبو الوليد ابن رشد: مناهج الأدلة.

2 - المرجع نفسه.

3 - النورسي: اللمعات، ص 540 - 552.

4 - النورسي: الكلمات، ص 290.

5 - البقرة: 31.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

حياة فحسب¹، وكل علم هو تكشف وتعرّف لهذه الكائنات بما يسمى ويكتمل فكان بدوره مستند إلى اسم أو أكثر من أسماء الله الحسنى.

فعلم الطب مهارة ومهنة، وحقيقته الاستناد إلى اسمه تعالى «الشافي»، فيصل الطب إلى كماله، ويصبح حقيقة فعلا بمشاهدة التحليلات الرحيمة لاسم «الشافي» في الأدوية المبتوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدلية عظمى.

والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان، هذه العلوم التي هي حكمة الأشياء يمكن أن تكون حكمة حقيقية بمشاهدة التحليلات الكبرى لاسمه تعالى «الحكيم» جل جلاله في الأشياء. وهي تحليلات تدبير، وتربية، ورعاية، وبرؤية هذه التحليلات في منافع الأشياء ومصلحتها تصبح تلك الحكمة حكمة حقا. أي باستنادها إلى ذلك الاسم وإلى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلا².

هذا هو منهج الدفاع الاستراتيجي للنورسي من خلال التأمل في الطبيعة، به يحيا الدور الأساسي والوظيفة المفصلة لعلم التوحيد بعدما فقدتها في عصور الانحطاط، من خلال استثمار منتجات العلوم الكونية وإنجازاتها التكنولوجية، والمثل في وقف تحقيق العدو للمزيد من الأهداف وإيقاف مسلسل الهزيمة عند هذا الحد الذي وصلت إليه تمهيدا للهجوم المضاد. . . عليه حول الشيخ النورسي علم التوحيد الإسلامي من مجرد مناقشات وعرض أدلة فلسفية مجردة جافة، إلى منهج علمي يعتمد على حقائق العلم وبساطة الأسلوب واحتوائه على الحركة والحياة، بحيث يصبح تيارا اجتماعيا عارما يلائم مختلف

1 - النورسي: الكلمات، ص 749.

2 - المرجع نفسه، ص 290-291، وانظر، زياد دغامين: «إسلامية المعرفة في ضوء إعجاز القرآن الكريم كما يصورها النورسي»، ص 63-65، وانظر كذلك، عماد الدين خليل: الموضوع الجمالي الطبيعة والعالم والكون، ص 155.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان
المستويات الثقافية والفكرية وليست قاصرة على طلاب العلوم الفلسفية وحدهم. إنه
منهج قرآني واقعي أصيل¹.

د- أثر هذا المنهج في الفرد والمجتمع: يقول شيخنا النورسي: «ضياء القلب هو العلوم
الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجها تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب
وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في
الثانية»².

إن بامتزاج ضياء القلب ونور العقل تتجلى حقيقة الوجود وهي معرفة الحق سبحانه وتعالى
فتتربى همة الإنسان وتعلو بكلا الجناحين، فيكتسب القدرة على الصمود والتحدى والترقي
نحوى الله تعالى لتحقيق السعادة في الدارين. إذ من شأن ذلك الامتزاج، أن يكون أساساً،
للشخصية الإسلامية، وقواعد يشاد عليها وجودها، وتبنى عليها كل مظاهر تحققها وتجسدها.
ولكن ما هي حقيقة هذا الإنسان وقيمه؟

يقول النورسي: "نعم أيها الإنسان! انك من جهة جسمك النباني ونفسك الحيوانية
جزء صغير وجزئي حقير ومخلوق فقير وحيوان ضعيف تخوض في الأمواج الهادرة لهذه
الموجودات المتزاحمة المدهشة. إلا أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية
المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية سلطاناً في هذه العبدية.. وانك كلياً في
جزئيتك.. وانك عالم واسع في صغرك.. ولك المقام السامي مع حقارتك فأنت المشرف
ذو البصيرة النيرة على هذه الدائرة الفسيحة المنظورة، حتى يمكنك القول: إن ربي الرحيم

¹ - انظر حسين عاشور، الأستاذ سعيد النورسي والدفاع الاستراتيجي من خلال التأمل في الطبيعة، ص

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان
قد جعل لي الدنيا مأوىً ومسكناً، وجعل لي الشمس والقمر سراجاً ونوراً، وجعل لي
الربيع باقة وردٍ زاهية، وجعل لي الصيف مائدة نعمة، وجعل لي الحيوان خادماً ذليلاً،
وأخيراً جعل لي النبات زينة وأثاثاً وهجة لداري ومسكني.

وخلاصة القول: إنك إذا ألقيت السمع إلى النفس والشيطان فستسقط إلى اسفل
سافلين وإذا أصغيت إلى الحق والقرآن فسترتقي إلى أعلى عليين وكنت "أحسن تقويم" في
هذا الكون"¹. ويستمر بديع الزمان: "إن الإنسان الذي يملك في رأسه عقلاً لا يفرح في
أمر الدنيا بما كسبه، ولا يحزن بما خسره أو فقده. ذلك لأن الدنيا ليست ثابتة بل هي
ماضية، والإنسان يمضي معها. فأنت أيضاً مسافر. انظر هاهو شفق الشيوخوخة قد ظهر
على الشعر فوق أذنك وغطى الكفن الأبيض أكثر من نصف رأسك. أما الأمراض التي
بدأت تتوطن في جسدك فهي طلائع الموت، ومع ذلك فإن الحياة الأبدية أمامكم. فالراحة
واللذة التي ستذوقونها في حياتكم الأبدية مرتبطة بسعيكم في حياتكم الفانية وأنت غافل
عن حياتك الأبدية. فانتبه واستيقظ قبل أن توفظك سكرات الموت"².

فقيمة الإنسان تسمو بمقدار توجهه لله تعالى ذلك ((إن أكرمكم عند الله اتقاكم)) فيتحقق
التعارف والتعاون، فيكون التمكين والأمن والتقدم سمة هذا المجتمع الإسلامي المجتمع
الإنساني.

ويتجلى ذلك عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في بعض هذه المظاهر:

1 - بديع الزمان سعيد النورسي: "الكلمات" ص: 371.

2 -- بديع الزمان سعيد النورسي: "المنتوي العربي النوري" ص: 119

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

1- ترقية الإيمان وتحقيق محاسنه: لما كانت غاية كل من العلم والدين معرفة الحقيقة وحقيقة الحقائق (الله تعالى) لتحقيق الإيمان في النفوس وترقيته بنجد بديع الزمان "نين من آلاف محاسن الإيمان خمسة محاسن فقط في خمس نقاط" بتجسيدها يرتقي الإنسان ويسمو أو يحقق إنسانيته:

- النقطة الأولى: إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين. لأن الإيمان انتساب". " ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنما هو انتساب؛ لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده. أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتتقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب؛ وقيمة المادة لا يُعتدّ بها فهي في حكم المعدوم، لكونها فانية، زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة"¹.

- النقطة الثانية: أن الإيمان ينور الكائنات أيضاً، وينقذ الزمان الماضي والمستقبل من الظلمات. "كما أن الإيمان نور يضيئ الإنسان وينوره ويظهر بارزاً جميع المكاتب الصمدانية المكتوبة عليه ويستقرؤها، كذلك فهو يُنير الكائنات أيضاً، وينقذ القرون الخالية والآتية من الظلمات الدامسة. " (الله ولي الذين آمنوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)² (والذين كفروا أولياؤهم الطّاغوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)³.

1 - الإمام بديع الزمان، المبحث الأول، من الكلمة الثالثة والعشرين. من مجموعة الكلمات من "كليات رسائل النور". ص 348.

2 - البقرة: 257

3 - البقرة: 257

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

- **النقطة الثالثة:** إن الإيمان نور وقوة. " كما أن الإيمان نورٌ وهو قوةٌ أيضاً. فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستنداً إلى قوة إيمانه "متوكلاً على الله. فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.¹

أما إذا ترك الإنسان التوكل فلا يستطيع التحليق والطيران إلى الجنة فحسب بل ستجذبه تلك الأثقال إلى أسفل سافلين.

- **النقطة الرابعة:** إن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفته الأساس: "الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه". بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز. وسنورد هنا دليلاً واضحاً وبرهاناً قاطعاً من بين آلاف الدلائل على هذه المسألة، وهو: التفاوت والفروق بين مجيء الحيوان والإنسان إلى دار الدنيا. نعم، إن التفاوت بين مجيء الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا يدل على أن اكتمال الإنسانية وارتقاءها إلى الإنسانية الحقة إنما هو بالإيمان وحده²

- **النقطة الخامسة:** أن الإيمان يقتضي الدعاء "كما أن الإيمان يقتضي "الدعاء" ويتّخذ وسيلة قاطعةً ووساطةً بين المؤمن وربّه، وكما إن الفطرة الإنسانية تتلهف إليه بشدة وشوق، فإن الله سبحانه وتعالى أيضاً يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه بقوله ﴿قُلْ مَا يَعْبُورُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾³ ويقول تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾⁴.

1 - من "كليات رسائل النور" ص 352-353

2- المرجع نفسه ص 354

3 - الفرقان: 77

4 - غافر: 60

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

ولا يخفى على أحد، أن هذه المحاسن، التي جاءت في خمس نقاط هي قوة دافعة، تسند الضعيف أن يسقط، وتمسك القوي أن يجمع، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر، وتمنع المغلوب أن يأس. إن هذه المحاسن التي جاءت من آلاف محاسن الإيمان. تملأ النفوس بالفضائل وتزكيها، وتقوّم الضمائر، وتسدد العزائم، وتزكي القلب، وتغذي العقل.

فالإيمان - كما ترى - ليس في واقع منهج بديع الزمان التربوي سوى سلوك هادف وواع، سلوك ليس خيالياً أو وهمياً، بل إنساني وعملي، يبلغ أقصى درجات الدقة في التحقق، حينما يرقى بالسالك، فتتحقق وحدة المصدر ووحدة الوجهة ووحدة السلوك، فيتحقق التكافل والتعاون الوثام.

2- النظام لتحقيق الأمن والاستقرار (التمكين): يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾¹. "ذلك لأن المسلم لا يشبه غيره. فإن ترك دينه وخرج من سحبة الإسلام وقع في الضلالة المطلقة وأصبح فوضوياً لا يمكن السيطرة عليه... وما دامت هذه هي الحقيقة، فإن الواجب الأول لجهاز العدالة ليس اتهامي واتهام طلاب النور، بل القيام بحماية رسائل النور وحماية طلابها لكونهم يحافظون على أعظم حق من حقوق الأمة والوطن، فإن الأعداء الحقيقيين لهذه الأمة ولهذا الوطن يهاجمون رسائل النور ويدفعون أجهزة العدالة _ بعد خداعها _ لارتكاب أفظع ظلم وأفظع جنائية على العدالة"².

1 - النور 55

2 - النور سي: "السيرة الذاتية" ص: 386.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

إن المسلم الحقيقي، والمؤمن المخلص لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون نصيراً للفوضى وإثارة الشغب، لأن الدين ينهى عن الفتنة وعن الفوضى نهياً قاطعاً وشديداً¹.

إذن فهنا يوجد مفتاح السعادة والاطمئنان للأسرة والمجتمع. إذن فعلى جميع من يرغب في استتباب الأمن في الداخل وعلى جميع المربين وعلى جميع محبي بلده وأمته من المسؤولين وأصحاب الصلاحيات أن يتأملوا المعنى الذي عبرت عنه هذه الرسالة دون أي حكم مسبق. ويرى بديع الزمان أن بعث هذه الأمة من جديد لب يكون إلا بالالتزام بالدين: "أن الدين حياة الحياة ونورها وأساسها ، إحياء الدين إحياء هذه الأمة"².

إن مفتاح الاستقرار والسعادة في حياة المجتمع هو الدين، ويعبر بديع الزمان عن هذا بقوله: "إن علينا أن ندأوي الأمراض المعنوية وذلك بإحياء الاستقامة والصدق الذي هو أساس حياتنا الاجتماعية. أجل إن الصدق والاستقامة هم العقدة الحياتية للحياة الاجتماعية للإسلام"³.

وهو يرى أن اليأس أي انقطاع الأمل هو أحد الأمراض المعنوية للمجتمعات. ويجب أن لا تبعد هذه المسائل عن الأنظار في التربية.

"اليأس يمنع بلوغ أي كمال. . . والذي مزق العالم الإسلامي مزقاً متناثرة هو اليأس ، فهو أفظع سرطان، أي المرض الويل للأمم والشعوب"⁴.
فإهمال الدين يؤدي إلى ظهور الفوضى ، الخوف وعدم الطمأنينة.

1 - المرجع نفسه: ص: 544-545.

2 - النورسي: "الكلمات" ص: 861.

3 - النورسي: "السيرة الذاتية" ص: 81.

4 - النورسي: "الخطبة الشامية" ص: 81.

الصلة بين العلم والدين ----- د. صالح نعمان

3- محاربة الأعداء الثلاثة: الجهل والفقر والفرقة: لقد ذكر "سعيد القلدم" هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباته، وعبر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول مرة: "إن كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله، والوسيلة الكبرى لهذا في هذا الزمن هو التقدم المادي، ذلك لأن الأجانب يسحقوننا تحت سيطرتهم واستبدادهم المعنوي بواسطة أسلحة العلوم والصناعات، وسنجاهد نحن بأسلحة العلم والصناعة ضد الجهل والبؤس والفرقة التي هي أعدى أعداء إعلاء كلمة الله¹."

وفي مقالة أخرى يقول: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق"²؛ وكل مؤمن عليه واجب إعلاء كلمة الله، إن الرقي المادي في هذا الزمن أكبر عامل في هذا الإعلاء، ولما كان الجهل والبؤس والخلاف أفضع عدو لهذا الرقي، فإننا سنجاهد ضد هذا العدو بسيف المعرفة وبالسعي الإنساني وبالاتحاد باسم الدين. أما بالنسبة للأعداء الخارجيين فهم لكونهم مدنيين لذا يجب أن نتصر عليهم فكريا، وسنحيل ذلك إلى براهين الشريعة"³.

هذه بعض معالم علاقة الدين الإسلامي بالعلم وأثريهما في الإنسان عند أستاذنا النورسي من خلال رسائل النور، التي كانت تجسيدا لمقولته القاعدة: {ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية}.

1 - ديوان الحرب العربي: ص: 57 "أخذت هذه العبارة من مقالته التي ظهرت في الجريدة الدينية "بتاريخ مارس 1909 عدد 70.

2 - المرجع نفسه: ص: 15

- الآثار البديعية: ص: 375. 3